مُعَاتَبَةُ مُوسَىٰ أَخَاهُ هَارُونَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إعْدادُ :

د. مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الْحُمَيِّدِ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْجَامِعَةِ

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، واصطفاهم على العالمين، والله أعلم حيث يجعل رسالته. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أنزل عليه الكتاب المبين، وجعله هدى للمتقين.

أما بعد؛ فقد قص القرآن الكريم لنا قَصصاً عديدة من قصص الأنبياء – عليهم السلام– أوجز بعضها، وفصل بعضها.

وكان مما فصل لنا قصة موسى –عليه السلام– فذكر خبره في طفولته، ونشأته، وأسفاره، ونبوته، ودعوته، وما كان له فيها من مواقف؛ فرغبت الكتابة في واحد من تلك المواقف الواردة في القرآن، ألا وهو معاتبته أخاه هارون – عليهما السلام.

- سبب اختيار الموضوع

(١) عناية القرآن الكريم بذكر قصة موسى –عليه السلام– مُفصّلة.

(٢) تركيز بعض الكُتّاب على وصف موسى –عليه السلام– بشدة الغضب بعبارات رُبما أوهمت القدح فيه –عليه السلام.

(٣) محاولة تجلية ذلك الموقف الذي جرى من موسى –عليه السلام–، وبيان عذره في ذلك.

- أهمية الموضوع:

١– خدمة هذا الموضوع للقصص القرآني.

٢– يتضمن هذا الموضوع الذَّبَّ عن نبي الله موسى –عليه السلام–، الذي هو من أولي العزم من الرسل على المشهور، وبيان عذره حتى لا يتخذ من ذلك الموقف ذريعة إلى القدح فيه –عليه السلام.

٣– إن هذا الموضوع يبرز ما كان عليه الأنبياء –عليهم السلام– من الغضب لله تعالى.

٤– في هذا الموضوع بيان ما ينبغي أن يكون عليه المرء من الأدب، لا سيما مع مَن هو أرفع منه منـــزلة.

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة؛ وفيها: سبب اختيار الموضوع، أهميته، خطة البحث، منهج البحث.

التمهيد وفيه: تعريف العتاب، وحدوده، وثمراته، والفرق بينه وبين التوبيخ، ونبذة عن موسى عليه السلام، وصفاته، وفضائله، وفاته، ونبذة عن هارون عليه السلام وصفاته، وفضائله، ووفاته.

وأما الفصول؛ فعلى النحو الآتي:

الفصل الأول: سبب معاتبة موسى أخاه هارون –عليهما السلام–؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تولي هارون عليه السلام أمرَ بني إسرائيل باستخلاف موسى عليه السلام له.

المبحث الثاني: بقاء هارون عليه السلام مع قومه بعد شركهم، وإعراضهم عن موعظته.

الفصل الثاني: أسلوب موسى عليه السلام في معاتبته أخيه هارون عليه السلام؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تصرفاته عند المعاتبة، وبيان عذره في ذلك. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تصرفاته عند المعاتبة، وفيه فرعان:

الفرع الأول: إلقاء الألواح. الفرع الثاني: أخذه برأس أخيه ولحيته.

المطلب الثاني: بيان عذره في ذلك.

المبحث الثاني: مقالة موسى عليه السلام المتضمنة معاتبة أخيه.

الفصل الثالث: موقف هارون عليه السلام في تلك المعاتبة، وأثر ذلك في موسى عليه السلام، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اعتذار هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام، وبيان أسلوبه في ذلك.

المبحث الثاني: أثر اعتذار هارون عليه السلام في أخيه موسى عليه السلام.

الخاتـــمة: وفيها ذكر أهم النتائج والدروس.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

- خطوات البحث:

(١) اعتمدت على ما ورد في القرآن الكريم مما يتعلق بأحداث ذلك الموقف.

(٢) استعنت بما ورد في السنة الصحيحة مما له علاقة بهذا الموضوع.

(٣) رجعت في بيان الموضوع إلى كتب التفسير، وشروح السنة، وكتب التاريخ، والأخلاق، والآداب.

(٤) تصديت –بعون الله تعالى– للذب عن نبي الله موسى عليه السلام مبيّنا جلالة قدره، وجميل أخلاقه، وأن ما حصل منه حال الغضب لا ينافي عصمة الأنبياء –عليهم السلام.

(٥) عزوت الآيات إلى سورها والأحاديث إلى مصادرها مع بيان الحكم عليها، وما كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بعزوها إليه.

(٦) شرحت الألفاظ الغريبة التي ترد في نصوص القرآن والسنة خلال البحث، معتمداً على كتب الغريب، وقواميس اللغة.

(٧) ترجمت للأعلام الذين يرد ذكرهم في البحث.

(٨) قمت بوضع فهارس للآيات والأحاديث والغريب والأعلام والمصادر والمراجع، ثم للموضوعات.

- منهج البحث:

سيكون منهجي في هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستنباطي، والله ولي التوفيق.

التمهيـــد: تعريف العتاب

العتاب مخاطبة الإدلال والإشفاق، وقيل: إن حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال، ومذاكرة الموجدة.

و"أعتبني" الهمزة للسلب، أي: أزال الشكوى والعتاب.

و"استعتب: طلب الإعتاب، و"العتبى" اسم من الإعتاب[1].

وفي تهذيب اللغة: (العتاب: مخاطبة الإدلال، وكلام المدلين أخلاءهم، طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكرة بعضهم بعضا ما كرهوه مما كسبهم الموجدة)[2].

- حدود العتاب وآدابه:

إن هناك حدودا للعتاب لا ينبغي تجاوزها كي يؤدي ثماره المنشودة، ومنها:

١- أن لا يكون العتاب على كل خطأ كما كان عليه خلق النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾[3].

٢- أن لا يصاحبه منكر من قول أو فعل أو شتم أو استهزاء.

٣- قد يصاحب العتاب الشدة في القول أو الفعل كما كان في عتاب موسى أخاه هارون -عليهما السلام- وعتاب النبيﷺ عائشة -رضي الله عنها- حيث قالت: "فلهدني[4] في صدري لَـــهْدَة أَوْجَعَتْني"[5] وذلك في عتابه لها حين تبعته في خروجه من عندها ليلاً.

٤- أن يكون بعبارة قصيرة وبلا تكرار حتى لا يمل المعاتب.

---

(١) المصباح المنير ص٣٩١.

(٢) ٢٧٨/٢.

(٣) سورة التحريم الآية ٣.

(٤) أي دفعني. شرح النووي على الصحيح مسلم ٤٣/٧.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها رقم ٩٧٤.

٥- أن يكون العتاب بمعزل عن الناس، وإن كان في حضرة الناس فليقع تعريضا لا تصريحا، كما في عتاب النبي ﷺ في قوله: «ما بال أقوام..»[١].

٦- أن يكون على أمر قد حصل في الماضي، وأما الخطأ المتوقع حصوله في المستقبل فيكون بالتحذير منه.

٧- أن لا يتأخر العتاب عن سببه الداعي إليه حتى لا يورث الجفاء إلا إن تغاضى ابتداء فلا حاجة إليه.

٨- المسارعة إلى قبول عذر المعاتب أو استسماحه والصفح عنه.

- ثمرات العتاب:

للعتاب ثمرات اجتماعية ونفسية أذكر طرفا منها:

١- تصفية النفوس وإزالة ما يكدرها.

٢- يرى به المرء المعاتب الخطأ الذي حصل منه فيتجنبه في المستقبل.

٣- إن العتاب يظهر للمعاتب نقصه وتقصيره، ويزيل ما قد يعتريه من الغرور بالنفس.

٤- إظهار تعلق المعاتب بالمعاتب، ورغبته في دوام الصحبة، وتجنب ما يكدرها، ولولا ذلك لأعرض وتخلى عنه.

٥- العتاب يظهر للمعاتِب إن كان للمعاتَب عذر، أو رأي مصيب، أو اجتهاد يعذره به.

٦- حصول الثواب للمعاتب إذا أصلح نيته، وقصد بعتابه الإصلاح، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب رقم ٦١٠١ .

(٢) سورة الأنفال الآية ١ .

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

- الفرق بين العتاب والتوبيخ:

إن كلا من العتاب والتوبيخ لوم إلا أن بينهما فرقا فمن ذلك:

١– إن العتاب يكون مع مَن لا يتوقع منه الإساءة، وأما التوبيخ فيكون لمن يتكرر منه ذلك.

٢– إن العتاب يتميز بالرفق غالبا، والتوبيخ يتميز بالغلظة.

٣– العتاب يكون بين الأحبة، والتوبيخ خلاف ذلك.

❋ ❋ ❋

(١) سورة النساء الآية ١١٤ .

نبذة عن موسى عليه السلام

اسمه ونسبه ومولده: هو موسى بن عمران بن قامث بن عازر بن لاوي ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم السلام[١]. وأمه يوحانذ بنت لاوي ابن يعقوب[٢]، وقيل: لوحا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب[٣]، وقيل: باخته، وقيل: غير ذلك[٤]، ولد في عام من الأعوام التي يقتل فيها الغلمان، حيث كانوا يقتلون في سنة ويتركون في أخرى[٥]؛ وقد بسط القرآن قصته في سور شتى، من حين ولادته، وحتى نبوته وتبليغه الرسالة.

صفاته عليه السلام: جاء في حديث الإسراء بيان صفاته الْخَلقية؛ فقد قال النبي ﷺ: «رأيت موسى وإذا هو رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ»[٦]. ومعنى: (ضَرب) أي نحيف خفيف اللحم[٧]، و(رَجِلٌ) أي أن شعره بين الجعودة والسبوطة[٨]، وهي استرسال الشعر، والجعودة ضدها[٩].

وفي الحديث الآخر: «موسى آدمُ طُوال؛ كأنه من رجال شنوءة»[١٠] أي:

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٩٦.

(٢) معالم التنـــزيل ٤٣٤/٣، والكامل لابن الأثير ٩٥/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٠/١٣.

(٤) تاريخ الطبري ٢٣١/١.

(٥) ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٩٩.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾، رقم (٣٣٩٤).

(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث (ضرب) ٧٨/٣، وفتح الباري ٤٩٤/٦.

(٨) ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢٠٣/٢.

(٩) ينظر: المصدر السابق (جعد) ٢٧٥/١، (سبط) ٣٣٤/٢.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ =

كان طويلاً أسمر اللون،[1] وشبهه النبيﷺ برجال شنوءة، وهي قبيلة في اليمن، كانوا معروفين بالطول[2]، كما كان قويّاً، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[3].

وأما صفاته الْخُلُقية: فيمكن استنباطها من خلال قصته عليه السلام في الكتاب والسنة، وبيانها فيما يأتي:

١. الخشية من الله، وسرعة الإنابة إليه: ومن ذلك مبادرته إلى الاستغفار من قتل القبطي، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾[4]، وتوبته من سؤاله رؤية ربه تعالى في الدنيا –بعد ما حصل له من الصعق، حينما رأى الجبل قد اندك لتجلي الله تعالى–، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

٢. التضرع إلى الله تعالى[6]، كما في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[7].

٣. الثقة بنصر الله تعالى: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

= أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، رقم (٣٣٩٦).

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث (أدم) ١/٣٢.

(٢) ينظر: الفتح ٦/٤٩٤-٤٩٥.

(٣)سورة القصص، من الآية ٢٦.

(٤) سورة القصص، من الآية ١٦.

(٥) سورة الأعراف، من الآية ١٤٣.

(٦) ينظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ص١٨١.

(٧) سورة القصص، من الآية ٢٤.

(٨) سورة القصص، الآية ٢٢.

تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[١].

٤. **الإخلاص لله تعالى، قال تعالى:** ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا[٢] وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾،[٣] **أي أخلص العبادة والتوحيد لله غير مراء بالعبادة**[٤].

٥. **الرحمة وإغاثة الملهوف، كما في قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾[٥].

٦. **نصرة المظلوم، كما في قوله تعالى:** ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾[٦].

٧. **الأمانة، قال تعالى:** ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٧].

٨. **الصبر: كما قال ﷺ: «يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»**[٨].

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١-٦٢.

(٢) على إحدى القراءتين في الآية. ينظر: النشر ٢/٢٩٥.

(٣) سورة مريم، الآية ٥١.

(٤) ينظر: فتح القدير ٣/٣٤٠.

(٥) سورة القصص، الآيتان ٢٣-٢٤.

(٦) سورة القصص، من الآية ١٥.

(٧) سورة القصص، الآية ٢٦.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، رقم (٤٣٣٦)، =

٩. الحلم في الدعوة والإرشاد؛ كما كان منه في محاورة فرعون، كما ورد في سورة الشعراء[١]، وكذلك مع قومه في سؤالهم إياه عن تفصيلات البقرة التي أُمروا بذبحها، كما في سورة البقرة[٢].

١٠. الوفاء والإحسان؛ ومن ذلك وفاؤه لصهره بأتم الأجلين، وهو العمل لديه عشر سنين، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ الآية[٣]، قال ابن عباس ﷺ: "قضى أكثرهما، وأطيبهما"[٤].

١١. حدة الغضب؛ ومن ذلك غضبه على أخيه هارون–عليهما السلام– في معاتبته إياه، كما سيأتي[٥]، وكذلك قصته مع مَلَك الموت؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام؛ فقال له: أجب ربك! قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت؛ ففقأها[٦] قال: فرجع ملك الموت إلى الله تعالى؛ فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني. قال: فردّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياة تريدا فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة. قال: ثم مَهْ! قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب» الحديث[٧].

= ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم (١٠٢٦).

(١) من الآية ١٥ وما بعدها.

(٢) من الآية ٦٧ وما بعدها.

(٣) سورة القصص، الآية ٢٩.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠/٦٨؛ ورُوي مرفوعاً كما عند الحاكم في مستدركه، وصححه ٢/٤٠٧–٤٠٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة٤/٥٠١، رقم (١٨٨٠).

(٥) ينظر: ص١٧٧.

(٦) أي شقها. ينظر: النهاية في غريب الحديث (فقأ) ٣/٤٦١.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم (٢٣٧٢).

وقد أجاب طائفة من العلماء عن ذلك التصرف منه عليه السلام مع الملَك بأنه لم يعلم أنه ملَك من عند الله، وظنه رجلاً يريد قتله فدافعه بتلك اللطمة، ولم يقصد فقء عينه، ثم لما جاءه في المرة الثانية علم أنه ملك الموت؛ فاستسلم والله أعلم[١].

وقد كان عليه السلام مع شدة غضبه سريع الفيئة منه، كما يُعرف هذا من سيرته عليه السلام حيث كان سرعان ما يستغفر وينيب إلى الله تعالى مما يحصل منه حال الغضب، وأما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه في حديث الإسراء أن النبي ﷺ قال: «فسرنا؛ فسمعنا صوتاً وتذمراً؛ فأتينا على رجل؛ فقال: من هذا معك؟ قال: هذا أخوك محمدﷺ؛ فسلم ودعا بالبركة، وقال: سَلْ لأمتك اليسر؛ فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى عليه السلام، قلت: على مَن كان تذمُّره!؟ قال: على ربهﷻ!!. قلت: أعلى ربه!؟ قال: نعم، قد عُرِف حِدَّتُه»[٢]، فهذه الرواية: لا تصح سنداً ولا متناً، لما فيها من ذكر حدة موسى عليه السلام وتذمره على الله تعالى، وهذا مما لا يجوز نسبته إلى نبي من أنبياء الله، ولكونه من رواية أبي حمزة الأعور[٣]، وهو ضعيف كما في التقريب[٤].

١٢. الحياء: قال النبي ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حَيِيّاً سِتِّيراً، لا يُرى من جِلده شيء استحياء منه» الحديث[٥].

فضائل موسى –عليه السلام: تكليم الله إياه؛ قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٦]، وقد انفرد موسى عليه السلام بأن كانت رسالته بتكليم الله له

---

(١) ينظر: فتح الباري ٦/٥١٠، وشرح النووي ١٥/١٢٩-١٣٠.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ٤/٦٠٦، ونقله السيوطي في الدر ٦/٢٠٦، وقال عنه الألباني: ضعيف جدا. كما في ضعيف الجامع الصغير، رقم (١٣١).

(٣) يراجع: مستدرك الحاكم ٤/٦٠٦، والسلسلة الضعيفة للألباني ٤/٢٨٢.

(٤) ص ٥٥٦، رقم (٧٠٥٧)، وذكر ابن حجر أن اسمه ميمون، ومشهور بكنيته.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: ٢٨، رقم (٣٤٠٤).

(٦) سورة النساء، من الآية ١٦٤.

مباشرة[1].

١. أحد أولي العزم من الرسل[2]: وهم؛ نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- على المشهور[3]، ومعنى: (أولي العزم) أي أولي الحزم والجد والصبر[4].

٢. وجاهته عند ربه؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾[5]، أي له وجاهة وجاهٌ عند ربه ﷻ؛ فقد كان مستجاب الدعوة إلا سؤاله الرؤية؛ فإن الله تعالى لم يشأ أن تكون لأحد من عباده في الدنيا، وقد استجاب الله شفاعته في أخيه هارون عليه السلام في أن يكون نبياً ووزيراً له في الدعوة إلى الله[6].

٣. محبة الله له: وتحبيبه إلى الخلق؛ فلا يراه أحد إلا أحبه[7]، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[8].

٤. رعاية الله له منذ الطفولة؛ قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[9]، أي لِتُرَبَّى بمرأىً، ومنظرٍ مني.

٥. ثناء الله عليه في القرآن في غير ما آية؛ كما تقدم، والتصريح باصطفائه واختياره كما في قوله تعالى:﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[10]،

---

(١) نظرات في أحسن القصص ١٣١/٢.

(٢) ينظر: تفسير البغوي ٥٠٨/٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥٩٠/٥.

(٤) ينظر: معالم التنزيل ١٧٦/٤.

(٥) سورة الأحزاب، من الآية ٦٩.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢٣٥/٥.

(٧) ينظر: معالم التنزيل ٢١٧/٣

(٨) سورة طه، من الآية ٣٩.

(٩) سورة طه، من الآية ٣٩.

(١٠) سورة الأعراف، من الآية ١٤٤.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[٢].

٦. بسط قصته في القرآن الكريم منذ طفولته–عليه السلام–.

٧. اقتران ذكره، وذكر كتابه، بذكر النبي محمد ﷺ، وذكر القرآن؛ لأن كتابيهما أفضل الكتب، وشريعتهما أكمل الشرائع، ونبوتهما أعلى النبوات، وأتباعهما أكثر المؤمنين[٣].

٨. ومن فضائله ما جاء في قول النبي ﷺ: «فإن الناس يُصعقون فأكون أولَ من يَفيق؛ فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش؛ فلا أدري أكان فيمن صُعق فأفاق قبلي، أو كان فيمن استثنى الله؟»[٤].

وفضيلته التي دل عليها الحديث إما إفاقته قبل إفاقة النبي محمد ﷺ، وإما دخوله فيما استثنى الله[٥]، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[٦].

٩. ومن فضائله أيضاً، ما جاء في قوله عليه السلام: «مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره»[٧] ومما قيل في معناه: أن الرؤية كانت منامية، وقيل: إن الله أرى نبيه ﷺ حال نبيه موسى عليه السلام في الدنيا،

(١) سورة طه، الآية ١٣.

(٢) سورة طه، الآية ٤١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣/٩٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره، رقم (٣٤٠٨)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى–عليه السلام–، رقم (٢٣٧٣).

(٥) ينظر: الفتح ٦/٥١٣.

(٦) سورة الزمر، من الآية ٦٨.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم (٢٣٧٥).

وقيل غير ذلك[1].

١٠. فضله عليه السلام على هذه الأمة في تخفيف عدد الصلوات كما جاء في حديث الإسراء[2].

١١. أحد الأنبياء الذين أمر النبي محمد ﷺ بالاقتداء بهم، في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] إلى أن قال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[4].

وفاة موسى عليه السلام: ذكرت قصة وفاته عليه السلام في الحديث المتقدم في تصرفه مع ملك الموت[5]، وذكر أنه لما دنت وفاته مشى هو وفتاه يوشع بن نون فجاءت ريح سوداء فظن يوشع أنها الساعة فالتزم موسى؛ فانسل موسى من تحت القميص؛ فأقبل يوشع بالقميص، وذكر أن ملك الموت شمه شمة؛ فقبض روحه.

وقيل: إنه أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فمات، وأن الملائكة تولوا دفنه، والصلاة عليه، وأنه عاش مائة وعشرين سنة -والله أعلم[6]. وكانت وفاته عليه السلام ووفاة أخيه هارون عليه السلام من قبل في زمن التيه[7].

---

(١) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٢٢٨-٢٢٩.

(٢) يراجع: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم (١٦٢).

(٣) سورة الأنعام، من الآية ٨٤.

(٤) سورة الأنعام، من الآية ٩٠.

(٥) ينظر: ص ١٦٢.

(٦) ينظر: فتح الباري ٦/٥٠٩.

(٧) ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص٤٣٣.

نبذة عن هارون عليه السلام

اسمه ونسبه ومولده: هو: هارون شقيق موسى عليه السلام[١]؛ فيتصل نسبه بيعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فهو أحد أنبياء بني إسرائيل، واسمه أعجمي عبراني، وفي اسمه ألف بعد الهاء تقرأ ولا تكتب[٢]؛ ولد في السنة التي لا يقتل فيها الغلمان[٣]، وكان أكبر من موسى عليه السلام بثلاث سنين[٤].

صفاته –عليه السلام:

١– كان من صفاته عليه السلام اللين والتواضع؛ فقد كان ليّنا في التعامل، وكان أحب إلى بني إسرائيل من موسى عليه السلام لأجل ذلك[٥]، وسيأتي بيان ذلك من خلال أسلوبه في الإنكار على بني إسرائيل لعبادتهم العجل[٦]، وكذلك يأتي ما يدل على تواضعه من خلال الحديث عن موقفه من أخيه حال المعاتبة[٧].

٢– ومن صفاته أيضا الإحسان، كما قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

٣–وكان فصيح اللسان؛ كما قال تعالى عن موسى أنه قال: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾[٩].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٢٠٩.

(٢) ينظر: روح المعاني للألوسي ٩/٤٤، وأما في غير المصحف فإن الألف في "هارون" تكتب.

(٣) ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٩٩.

(٤) ينظر:معالم التنـــزيل ٢/٢٠٢.

(٥) ينظر: تاريخ الطبري ١/٤٣٤، ومعالم التنـــزيل ٢/٢٠٢.

(٦) ص ١٧٣.

(٧) ص ١٨٩.

(٨) سورة الأنعام، من الآية ٨٤.

(٩) سورة القصص، من الآية ٣٤.

فضائل هارون –عليه السلام–:

١. النبوة والرسالة، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[٢].

٢. الوزارة لأخيه موسى –عليهما السلام–، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾[٣]، والوزير هو المتحمل ثقل أميره وشغله[٤].

٣. تحية الله له، والثناء عليه مع أخيه –عليهما السلام–، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

٤. كونه أحد الأنبياء الذين أُمر النبي ﷺ أن يقتدي بهديهم؛ فبعد ما ذكر هارون عليه السلام في جملة من الأنبياء في سورة الأنعام[٦]، قال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٧].

وفاة هارون –عليه السلام–: كانت وفاته عليه السلام في زمن التيه، الذي ضربه الله تعالى على بني إسرائيل أربعين عاماً؛ فدفنه موسى عليهما السلام[٨].

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٣.

(٢) سورة يونس، الآية ٧٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٣٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب (وزر) ص ٥٢١.

(٥) سورة الصافات، الآيات ١٢٠-١٢٢.

(٦) الآية ٩٠.

(٧) سورة الأنعام، من الآية ٩٠.

(٨) ينظر: تاريخ الطبري ١/٤٣٤.

الفصل الأول:

سبب معاتبة موسى أخاه هارون عليهما السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

تولى هارون عليه السلام أمر بني إسرائيل باستخلاف موسى عليه السلام له

حينما أراد موسى عليه السلام أن يتعجل بالذهاب إلى ميقات ربه استخلف وزيره أخاه هارون على بني إسرائيل، ليسير بهم فيلحقوا بموسى عليه السلام، وينـــزلوا قريبا منه،[١] كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٢].

وكان هذا الميعاد والاستخلاف بعد نجاة بني إسرائيل من فرعون[٣]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾[٤] أي: كن خليفة عني مدة مغيبي عن بني إسرائيل حتى أرجع إليهم[٥]، كما أوصاه بوصية جامعة بقوله: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٦]، ووصيته له بالإصلاح شاملة

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٠١ و٤/ ٣٣٧.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٨٣ – ٨٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٤٨.

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٤٢.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٤٨، والتسهيل لعلوم التنـــزيل ٢/٤٤، وتفسير البحر المحيط ٤/٣٨١.

(٦) سورة الأعراف، من الآية ١٤٢.

إصلاحه في نفسه، وإصلاحه في قومه[1]؛ فيتعاهد نفسه بإصلاحها، ويتعاهد قومه بالإصلاح، وكفهم عن الفساد.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]؛ فمعناه: لا تتبع سبيل من سلك الإفساد ولا تُطِع مَن دَعاك إليه[3].

"واتباع سبيل المفسدين يشمل مشاركتهم في أعمالهم، ومساعدتهم عليها، ومعاشرتهم، والإقامة معهم حال اقتراف الإفساد"[4].

وهذه الوصية من موسى لهارون عليهما السلام هي على سبيل التأكيد، لا لتوهم أنه يقع منه خلاف الإصلاح، واتباع تلك السبيل؛ لأن منصب النبوة منـــزه عن ذلك[5].

قال ابن كثير[6] –رحمه الله– في هذه الوصية : "وهذا تنبيه وتذكير، وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف، كريم على الله، وله وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء)[7].

وقد تلقى هارون عليه السلام هذه الوصية من أخيه موسى عليه السلام وقام بها في

---

(١) ينظر تفسير البحر المحيط ٤/ ٣٨١.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ١٤٢.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢/١٦٩، ومحاسن التأويل ٧/ ٢٨٤٩.

(٤) تفسير المراغي ٩/٢٥٦، ونحوه في التحرير والتنوير ٩/٨٨.

(٥) ينظر تفسير البحر المحيط ٤/٣٨١، وروح المعاني ٩/٤٤.

(٦) ابن كثير هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ولد سنة ٧٠١هـ، صاهر الحافظ المزي، ولازمه، وأخذ عنه، وعن ابن تيمية، وغيرهما، أقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال، والتاريخ، وصنف كتاب: الأحكام، والبداية والنهاية، والتفسير، والتكميل، وغيرها، وكان فقيها، مات سنة ٧٧٤هـ. ينظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٦/٢٣١ وما بعدها.

(٧) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٠١.

خلافته، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾[1]، وهذا في تحذيره إياهم من عبادة العجل.

تنبيه: جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى؛ إلا أنه لا نبي بعدي»[2].

قال أبو حيان –رحمه الله–[3]: "وليس في قول الرسول ﷺ لعلي رضي الله عنه أنت مني كهارون من موسى دليل على أنه خليفته بعد موته، إذ لم يكن هارون خليفةً بعد موت موسى، وإنما استخلف الرسول ﷺ عليا رضي الله عنه على أهل بيته إذ سافر الرسول ﷺ في بعض مغازيه، كما استخلف ابن أم مكتوم رضي الله عنه[4] على المدينة؛ فلم يكن ذلك دليلا على أنه يكون خليفة بعد موت الرسول ﷺ[5].

---

(١) سورة طه، الآية ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، رقم (٤٤١٦).

(٣) هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي، برع في الحديث والتفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ، سمع من أربعمائة وخمسين شيخا في أمصار مختلفة، من مصنفاته: البحر المحيط في التفسير، والتنـــزيل والتكميل في شرح التسهيل، والمبدع في التصريف، وعقد اللآلئ في القراءات، وغيرها، توفي سنة ٧٤٥هـ . انظر طبقات المفسرين للداودي ٢/٢٨٧-٢٩١.

(٤) هو صحابي: اختلف في اسمه، قيل: عبد الله، وقيل: عمرو بن قيس بن زائدة القرشي؛ وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين –رضي الله عنها– أسلم قديما بمكة، وهاجر إلى المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليها، وكان يُستخلف على المدينة ليصلي بالناس، ونزل فيه سورة (عبس)، و﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ شهد القادسية، وكان معه اللواء، رجع إلى المدينة ومات رضي الله عنه في آخر خلافة عمر رضي الله عنه. ينظر: الإصابة ٢/٥١٦-٥١٧، والتقريب رقم ٥٠٣١.

(٥) تفسير البحر المحيط ٤/٣٨١.

وفي هذا رد على الرافضة في تعلقهم بهذا الحديث على وجوب استخلاف علي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ.

قال القرطبي[1] -رحمه الله- أيضا في الرد عليهم: "ولم يعلموا أن هذا استخلاف في الحياة كالوكالة التي تنقضي بعزل الموكل او بموته[2]، لا يقتضي أنه مُتَمَادٍ بعد وفاته؛ فينحل على هذا ما تعلق به الإمامية وغيرهم"[3].

المبحث الثاني:

بقاء هارون عليه السلام مع قومه بعد شركهم، وإعراضهم عن موعظته

لـــمّا وقعت بنوا إسرائيل في الشرك وذلك بعبادتهم العجل كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[4] قام هارون عليه السلام بالإصلاح فيهم، ووعظهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[5]، إلا أنهم لم يستجيبوا لنصحه، وأصروا على الكفر، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، كان زاهدا ورعا، إماما متقنا متبحرا في العلم، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، والكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكار في فضل الأذكار، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة ٦٧١هـ. ينظر طبقات المفسرين للداودي ٢/٦٩-٧٠.

(٢) جاء في المغني: إن الوكالة تنتهي بعزل الوكيل نفسه أو بعزل الموكل، وبموت أحدهما. ٧/٢٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٥١.

(٥) سورة طه، الآية ٩٠.

مُوسَىٰ﴾[١].

وكان ذلك استضعافا منهم لهارون عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾[٢].

قال ابن جرير رحمه الله[٣]: "وكان استضعافهم إياه تركهم طاعته واتباع أمره"[٤].

بل إنهم لم يقتصروا على ذلك فقد كادوا أن يقتلوه، قال تعالى إخبارا عن هارون في خطابه لأخيه موسى عليهما السلام: ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾[٥]، يعني بذلك عَبَدَةَ العجل[٦].

ولما بلغوا معه هذا الحد من التعنت والكبر تركهم وشأنهم، خوفا على نفسه من عدوانهم؛ فلم يقاتلهم على شركهم.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في الأمر الذي من أجله عاتب موسى أخاه هارون عليهما السلام، وهو ما ذكره الله تعالى في قوله سبحانه إخبارا عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾[٧]،

---

(١) سورة طه، الآية ٩١.

(٢) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٣) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري أبو جعفر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة، ومنها: تفسيره: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، وآداب النفوس، وآداب المناسك، وغيرها، رحل في طلب الحديث، واستوطن بغداد إلى أن توفي بها، كان حافظاً للقرآن، عالماً بالقراءات والمعاني والفقه والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين ومخالفيهم؛ كانت وفاته سنة ٣١٠هـ، وشهد جنازته خلق كثير-رحمه الله تعالى-. ينظر: طبقات المفسرين للداودي٢/١١٠-١١٨.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٦٨.

(٥) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٦) معالم التنزيل للبغوي ٢/٢٠٢.

(٧) سورة طه، الآيتان ٩٢-٩٣.

فذكروا في المراد بالإتباع ثلاثة أقوال:

أحدها: تسير ورائي بمن معك من المؤمنين وتفارقهم، وهذا المعنى مروي عن سعيد بن جبير[1] عن ابن عباس–رضي الله عنهما–[2].

ثانيها: أن تناجزهم القتال، وهذا المعنى مروي عن أبي صالح[3] عن ابن عباس–رضي الله عنهما–[4].

ثالثها: تتبعني في الإنكار عليهم[5].

وعند التأمل في عذر هارون عليه السلام الوارد في سورة الأعراف، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾[6]، وعذره الآخر الوارد في سورة طه، وهو قوله: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾[7] يتبين ما فعله هارون عليه السلام من المراد بالاتباع في قول أخيه له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾[8] وهو أن المراد: اتباعه في شدة

(١) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، الكوفي، ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين، روى له الجماعة. ينظر: التقريب ص١٧٤، ترجمة (٢٢٧٨).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/٢٠٣، وفي سندها محمد بن حميد، وهو ضعيف كما في التقريب ص٤٧٥، ترجمة (٥٨٣٤)، وفيه أيضاً ابن إسحاق وهو مدلس، كما في التقريب ص ٤٦٧، ترجمة (٥٧٢٥).

(٣) ذكوان أبو صالح السمّان الزيات، المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، مات سنة إحدى ومائة، روى له الجماعة. ينظر: التقريب ص١٤٣، ترجمة (١٨٤١).

(٤) هذه الرواية في تنوير المقباس ص١٩٧، وهي من رواية الكلبي وهو متهم بالكذب. ينظر: التقريب ص ٤٧٩، ترجمة (٥٩٠١).

(٥) زاد المسير ٥/٣١٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٧.

(٦) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٧) سورة طه، الآية ٩٤.

(٨) سورة طه، الآيتان ٩٢ –٩٣.

الإنكار على عبدة العجل، ومقاتلتهم على ذلك، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾[١]؛ فكان خوفه من عدوانهم عليه مانعا له من الاشتداد في الإنكار عليهم وقتالهم.

وأن المراد كذلك بالاتباع لحوقه بأخيه موسى عليه السلام، وإخبارا بما صنع القوم من عبادة العجل، ولهذا قال: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾[٢].

قال البغوي–رحمه الله–[٣] في تفسيرها: "أي خَشيت إن فارقتُهم واتبعتك صاروا أحزابا يتقاتلون؛ فتقول أنتَ فرَّقتَ بين بني إسرائيل، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ أي: لم تحفظ وصيتي، حين قلت لك اخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم"[٤].

قلت: ومما يؤيد حمل الآية على المعنيين أن الاتباع يأتي بمعنى اتباع الطريقة والمنهج، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٥] أي: فاتبعوا طريقتي وشريعتي[٦].

وبمعنى المصاحبة والموافقة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٢) سورة طه، من الآية ٩٤.

(٣) هو: الحسين ابن مسعود بن محمد، أبو محمد البغوي الشافعي، يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحي السنة، كان إماما في التفسير، والحديث، والفقه، من مصنفاته: معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة، والمصابيح الجامع بين الصحيحين، كان زاهدا ورعا، توفي سنة ٥١٦هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١/١٦١-١٦٢.

(٤) معالم التنزيل ٣/٢٢٩.

(٥) سورة آل عمران، من الآية ٣١.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٩.

أَتَّبِعُكَ﴾[1]، أي: أصحبك وأرافقك[2].

وقد ذكر أبو حيان أن الآية محتملة للمعنيين في المراد بالاتباع[3]، فيكون فعْل (تَتَّبِعَن) من قبيل الإجمال بسبب الاشتراك في فِعْلٍ، وهو نوع من أنواع الإجمال في القرآن[4].

وأتى بيانه في آيتي الأعراف، وطه، كما تقدم –والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الكهف، من الآية ٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٣٣.

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط ٦/٢٧٣.

(٤) ينظر أضواء البيان ١/٨.

الفصل الثاني:

أسلوب موسى عليه السلام في معاتبة أخيه هارون عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تصرفاته عند المعاتبة، وبيان عذره في ذلك

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تصرفاته عند المعاتبة

- **الفرع الأول: إلقاء الألواح:**

ذكر الله تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه، ووبخهم على صنيعهم– ألقى الألواح، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾[1]، كما دل على ذلك ما رواه ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الخبر كالمعاينة؛ إن الله –ﷻ– أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح؛ فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت»[2].

وتلك الألواح التي ألقاها عليه السلام هي التي فيها التوراة[3]؛ فإن (ال) في كلمة (الألواح) للعهد الذكري، فقد قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[4]

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/٢٧١، والحاكم في مستدركه ٢/٣٢١، وصححه، ووافقه الذهبي، كما صححه محققو المسند ٤/٢٦٠-٢٦١.

(٣) ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص٣٨٧.

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٤٥.

والذي كتبه الله تعالى من الوحي لموسى ﷺ هو التوراة المشتملة على شريعته ﷺ؛ فقد ورد في محاجة آدم وموسى –عليهما السلام– أن آدم قال له: «أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده»[1].

وقيل: إن الألواح غير التوراة[2]، والظاهر: أنها التوراة، كما يدل عليه ظاهر القرآن.

وقد استدل ابن كثير –رحمه الله– بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾[3] على أن المراد بالألواح أي التي فيها التوراة[4].

وقد كان سبب إلقائه ﷺ التوراةَ غضبُه مما رآه من سوء صنيع قومه، وهو عكوفهم على عبادة العجل[5]، وكذلك غضبُه على أخيه حين بدا له تفريطه، وإهماله في القوم، لما وقعوا في الشرك[6].

وأما ما نقله ابن جرير، عن قتادة[7] من أن سبب إلقاء موسى ﷺ التوراةَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم(٦٦١٤)، ومسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى –عليهما السلام–، رقم (٢٦٥٢)، وأبو داود (واللفظ له)، كتاب السنة، باب في القدر، رقم (٤٧٠١).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٢٠٦.

(٣) سورة القصص، من الآية ٤٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٢٠٦.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٦٥، والمحرر الوجيز ص٧٤٦، وزاد المسير في علم التفسير ٣/٢٦٤، وتفسير القرآن العظيم ٣/٢٠٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/٢٨٨.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز ص٧٤٦، والجامع لأحكام القرآن ٧/٢٨٨.

(٧) يراجع جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٦٤-٦٥. وقتادة هو: ابن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، الحافظ العلامة البصري الضرير، المفسر، رأس الطبقة الرابعة، قال عن نفسه: ما قلت لحديث قط: أعد عليّ، وما سمعت أذناي شيئا قط إلا وعاه قلبي، وقال: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً، أثنى عليه جماعة من العلماء كابن سيرين والزهري والإمام أحمد =

لما وجد من فضائلَ لأمة محمد ﷺ فاشتد ذلك عليه؛ فليس بصحيح.

قال القرطبي رحمه الله: "ولا التفات لما رُوي عن قتادة –إن صح عنه، ولا يصح– أن إلقاءه الألواح إنما كان لِمَا رأى فيها من فضيلة أمة محمد ﷺ، ولم يكن ذلك لأمته، وهذا قول رديء لا ينبغي أن يضاف إلى موسى عليه السلام"(١).

وقال ابن كثير –رحمه الله–: "روى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلا حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية(٢)، وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون، وأفاكون، وزنادقة"(٣)، وممن استبعد هذا القول أيضاً ابن الجوزي رحمه الله(٤) في تفسيره(٥).

= ابن حنبل وابن حجر رحمهم الله جميعاً، روى له الجماعة، توفي سنة ٢١٨هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ٢/٤٧-٤٨، وتقريب التهذيب، رقم (٥٥١٨).

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٨٨.

(٢) في المحرر الوجيز ص٧٤٦. وابن عطية هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف من بني مضر، اشتهر بابن عطية أحدَ أجداده، كان إماماً في العلم، فقيهاً، عالماً بالتفسير، والأحكام، والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، والأدب، وكان ذكياً، ومن أشهر كتبه: الوجيز في التفسير، ولي القضاء وكانت وفاته سنة ٥٤١هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١/٢٦٥-٢٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٠٨.

(٤) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، يتصل نسبه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الإمام العلامة، حافظ العراق، صاحب التصانيف المشهورة، والخائز على علوم التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد، والتاريخ، والطب، وغير ذلك، ومن مؤلفاته: زاد المسير في علم التفسير، والمغني، والوجوه، والنظائر، وفنون الأفنان، وصيد الخاطر. وعرف جدهم بالجوزي لجوزة كانت في دارهم بواسط لم يكن بها جوزة سواها، توفي سنة ٥٩٧هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١/٢٧٥-٢٨٠.

(٥) زاد المسير في علم التفسير ٣/٢٦٢.

قلت: ولا يفعل مثل هذا الصنيع إلا حاسدٌ، وحاشى لموسى عليه السلام أن يُنْسَب إليه مثل هذه الصفة المذمومة.

- الفرع الثاني: أخذه برأس أخيه ولحيته:

وكان من تصرفات موسى عليه السلام أيضاً عند المعاتبة أن أخذ برأس أخيه ولحيته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾[2].

قال ابن جرير -رحمه الله-: "وفي هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناءً بدلالة الكلام عليه، وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه، يجره إليه، فقال هارون: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾"[3]. واللحية: شعر الخدين والذقن[4].

وأما ما أخذ به موسى عليه السلام من رأس أخيه عليه السلام فقد ذكر ابن الجوزي فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لحيته وذؤابته. ثانيها: شعر رأسه. ثالثها: أذنه[5].

قلت: والظاهر أنه أمسك به بشعر رأسه، كما ذكر ذلك الإمام البغوي في تفسيره[6]؛ لأنه هو الذي ينطبق عليه اسم الرأس، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾[7]، فجعل شعر الرأس داخلاً في مسمى الرأس.

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٢) سورة طه، من الآية ٩٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/٢٠٣.

(٤) ينظر: القاموس المحيط مادة: (لحى) ٤/٣٨٧.

(٥) زاد المسير في علم التفسير ٣/٢٦٤.

(٦) ٢/٢٠٢، ٣/٢٢٩.

(٧) سورة البقرة، من الآية ١٩٦.

وقال تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾[١]، وأما الأذنان فهي تبع له، كما جاء في الحديث: «الأذنان من الرأس»[٢].

قال في المغني[٣]: "لا يفهم من إطلاق اسم الرأس دخولها فيه، ولا يشبهان بقية أجزاء الرأس، ولذلك لم يُجْزِه مسحهما عن مسحه عند من اجتزأ بمسح بعضه".

فَمِمَّا تقدم يُعلم أن موسى عليه السلام أمسك بأخيه من لحيته وشعر رأسه يجره إليه، ويلزم من هذا أن يكون إمساكه له بكلتا يديه من فرط الغضب على أخيه، خوفاً أن يكون قد قصَّر في نهيهم[٤]، "وعطف الرأس على اللحية؛ لأن أخذه من لحيته أشد ألماً، وأبلغ في اللوم"[٥].

المطلب الثاني: بيان عذر موسى عليه السلام في ذلك

لما أخبر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بما حصل بعد انصرافه عن قومه لملاقاة ربه تعالى، وما اقترفه قومه من الجرم العظيم، وهو افتتانهم بالعجل الذي صنعه لهم السامري[٦]؛ فعبدوه من دون الله، رجع إثر ذلك النبأ إلى قومه غضبان

(١) سورة المائدة، من الآية ٦.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ: رقم (١٣٤)، والترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء أن الأذنين من الرأس، رقم (٣٧).

(٣) ١/١٨٣.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣/٢٠٩.

(٥) التحرير والتنوير ١٦/٢٩٢ بتصرف يسير.

(٦) السامري: اسمه هارون، وقيل: موسى بن المظفر، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان منافقاً، وقيل: إنه كان من القبط، وقيل: كان من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة تُعرَف بالسامرة، وهم معروفون بالشام. ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص٢٧٧، والتعريف والإعلام للسهيلي ص١١٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩.

أسفاً، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾[1].

فبين تعالى حال نبيه موسى عليه السلام عند رجوعه، كما بيّنه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾[2]. و"الأسف" شدة الغضب، قاله أبو الدرداء رضي الله عنه[3]. وقال مجاهد[4]: أي جزعاً[5]. وقال قتادة، والسدي[6]: أي حزيناً على ما صنع قومه من بعده[7].

فكان من جرّاء تلك الحال التي انتابته، وهي: شدة غضبه على قومه

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٢) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٦٣. وأبو الدرداء هو: عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، مختلف في اسم أبيه؛ فقيل: مالك، وأما هو فمشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر، وعويمر لقب له، وهو صحابي جليل أول مشاهده أحد، وكان عابداً، مات في أواخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك. ينظر: تقريب التهذيب، رقم (٥٥٢٢٨)، والإصابة ٤/٦٠.

(٤) هو: مجاهد بن جَبْر – بفتح الجيم، وسكون الموحدة- أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة، إمام في التفسير، وفي العلم، من الطبقة الثالثة، اختلف في سنة وفاته؛ فقيل: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، وله ثلاث وثمانون سنة -رحمه الله-. ينظر: تقريب التهذيب، رقم (٦٤٨١).

(٥) الظاهر أن المقصود بالجزع الحزن، وهو أحد معانيه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: (جزع) ١/٢٦٩، ولسان العرب، مادة: (جزع) ٨/٤٧، وليس هو نقيض الصبر.

(٦) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي -السدي الكبير-، صاحب التفسير، صدوق يَهِم، ورُمِي بالتشيع، من الطبقة الرابعة، أخرج له الجماعة إلا البخاري، مات سنة ١٢٧هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي ١/١١٠، وتقريب التهذيب، رقم (٤٦٣).

(٧) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٣٧.

باتخاذهم العجل وحزنه؛ لأن الله تعالى فتنهم[١]، –على تفسير "الأسف" بالحزن– أن حصل منه ذلك الفعل، وهو إلقاء الألواح التي فيها التوراة.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: "كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار لخاضه"[٢].

وجاء في كتاب (الانفعالات[٣]) ما نصه: "إن الغضب في حال استثارته وشدته يملأ النفس، ويستولي عليها، ويأخذ بلُبِّها وأطرافها، ويكاد أن يغطي العقل، ويُعمي البصيرة، ويُضعف التفكير، ويكون في النفس من الفوران والغليان، والتحول والجيشان، ما هو قابل للزيادة والنمو، وذلك لما يقوم عليه من استعدادات وقابلية لا ترفض ذلك الجيشان في أصل الطبع، ولهذا جاء وصف إيقافه ورده بالكظم[٤]".

فحينما نتأمل هذه الآثار الناتجة عن الغضب، ونعلم أن الغضب غريزة في الإنسان، يتبين أن موسى عليه السلام لم يفعل تلك التصرفات عن اختيار منه، وإنما وقع منه ذلك لغلبة الغضب عليه، وتمكنه منه عليه السلام؛ فهو معذور فيما صنع.

إن الغضب إذا كان لله تعالى فهو خلق محمود لأنه من صفات الأنبياء عليهم السلام؛ فالغضب إذا كان موجها لنقد حالة مخالفة للضوابط السلوكية الشرعية، أو لإيقاف ما يخالف النمط السلوكي، الذي يقره الشرع، أو لاظهار الشدة والغلظة على الشذوذ السلوكي الصادر من الكافر أو المنافق أو الفاسق

---

(١) ينظر: روح المعاني ٩/٦٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٨٨.

(٣) الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن محمد النغيمشي، ص١٧.

(٤) قال ابن فارس: "الكاف، والظاء، والميم، أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو: الإمساك، والجمع للشيء؛ ومن ذلك الكظم: اجتراع الغيظ؛ والإمساك عن إبدائه، وكأنه يجمعه الكاظم في جوفه". مقاييس اللغة، مادة: (كظم) ٥/١٨٤.

فهو محمود ومطلوب، وله أثره التربوي، وقيمته التوجيهية، التي لا تحدث إلا بحدوث الغضب واستعماله[1].

قلت: وقد بوّب البخاري -رحمه الله- في صحيحه باباً سماه: "ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى"[2].

وورد في فتح الباري: "كأنه يشير إلى أن الحديث الوارد في أنه ﷺ كان يصبر على الأذى إنما هو فيما كان من حق نفسه، وأما إذا كان لله تعالى فإنه يتمثل فيه أمر الله من الشدة"[3].

تنبيه: إن هناك فرقاً بين الغضب والعدوان؛ فإن الغضب طبع غريزي جبلي، والعدوان ليس كذلك، إذ الإنسان مفطور على التوحيد والسلامة[4]، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[5].

المبحث الثاني: مقالة موسى عليه السلام في معاتبة أخيه -عليه السلام

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾[6].

بعد ما فرغ موسى عليه السلام من توبيخ قومه، والإنكار عليهم، توجه إلى أخيه هارون عليه السلام بالعتاب واللوم، وقد خصه بهذه المعاتبة؛ لأنه يعلم أنه لم يرتكب

---

(١) الانفعالات، ص ٣٩.

(٢) كتاب الأدب، باب رقم (٧٥).

(٣) فتح الباري ١٠/٥٣٤.

(٤) ينظر: الانفعالات ص ١٦.

(٥) سورة الروم، من الآية ٣٠.

(٦) سورة طه، الآيتان: ٩٢-٩٣.

جريمة القوم، إذ لا يجوز عليه الشرك بالله تعالى؛ فهو نبي معصوم، والعصمة تنافي ذلك؛ فعاتبه بما يناسب حاله[١].

واشتد عليه لكونه الخليفة عليهم؛ فلامه بقوله: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[٢] أي: "أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم فكفروا بالله، وعبدوا العجل ألا تتبعني"[٣].

وقد تقدم أن المقصود بالاتباع: اتباع الوصية، وكذلك الاتباع باللحوق به مع قومه.

وللعلماء في كلمة (لا) الداخلة على الفعل في قوله سبحانه: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ قولان: أحدهما: أن (لا) مزيدة لتأكيد الكلام وتقويته[٤].

والآخر: أنها ليست زائدة، واختلف أصحاب هذا القول على قولين:

فقيل: يُقَدّر محذوف يَصح معه المعنى؛ فيكون التقدير: ما منعك من الطاعة فأحوجك أن لا تتبعن، وقد رجحه ابن جرير[٥]، وقيل: في الفعل (منعك) تضمين[٦]، والمعنى: مَن دعاك وأمرك أن لا تتبعن[٧].

وأما الجملة الأخرى في عتابه أخاه –عليهما السلام–، والإنكار عليه،

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/٢٩١.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٩٢-٩٣.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/٢٠٣.

(٤) تفسير البحر المحيط ٤/٢٧٢، والدر المصون ٥/٢٦١، ٨/٩٢.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/١٧٠، وتفسير البحر المحيط ٤/٢٧٣، والدر المصون ٥/٢٦٣.

(٦) معناه: إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه، وفائدته: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين. ينظر: مغني اللبيب ٢/٦٨٥.

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/١٧٠، تفسير البحر المحيط ٤/٢٧٣، والدر المصون ٥/٢٦٣، ٨/٩٢، وروح المعاني ١٦/٢٥١.

بقوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[1].

فمعناها: أي "أمري بالصلابة في الدين، والمحاماة عليه، فإن قوله له – عليهما السلام– ﴿اخلفني﴾ متضمن للأمر بهما حتماً؛ فإن الخلافة لا تتحقق إلا بـــمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً.

والهمزة: للإنكار التوبيخي، والفاء: للعطف على مقدَّرٍ يقتضيه المقام، أي: ألم تتبعني، أو خالفتني؛ فعصيت أمري"[2].

قلت: والذي أمر به موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام هو ما ذكره سبحانه في قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3].

وأشار قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[4] إلى أنه أمره باللحوق به مع قومه.

وقد تضمنت جملة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ شديدَ الإنكار، والتغليظ على أخيه، إذ نسبه إلى المعصية بما ظهر له من حاله، وعدم عمله بوصيته، وذلك أنه أقام مع القوم، ولم يبالغ في الإنكار عليهم[5].

(١) سورة طه، الآية: ٩٣.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦/٣٨.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ١٤٢.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٨٣-٨٤.

(٥) ينظر: فتح القدير ٣/٣٨٣.

الفصل الثالث:

موقف هارون عليه السلام في تلك المعاتبة، وأثر ذلك في موسى عليه السلام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

اعتذار هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام، وبيان أسلوبه في ذلك

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾[2].

اشتملت هاتان الآيتان على ذكر اعتذار هارون عليه السلام؛ كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ أي: لم أطق تغيير ما فعلوه لاستضعافهم لي، ومقاربتهم قتلي[3]. ففي آية الأعراف بيان اعتذاره عن سكوته عن قومه بعد ما حصل منهم ما حصل أثناء خلافته، وأنه بذل معهم ما يستطيعه من النصح والوعظ.

واعتذاره إلى أخيه أي: طلبه قبول عذره.

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٢) سورة طه، الآية ٩٤.

(٣) ينظر: فتح القدير ٢/٢٦٠.

وقوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] أي: لا تفعل بي من العقوبة ما يُسر به العدوّ، ولا تجعلني بسبب غضبك عليّ وعقوبتك لي في جملة من عصاك، وخالف أمرك، فظَلَمَ نفسه، ولم أُشايعهم على شيء من ذلك[2].

وأما في آية سورة طه: ففيها اعتذاره عما حصل منه من الإقامة معهم حال شركهم؛ فقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[3]؛ فذكر لأخيه أنه خشي إن فارقهم أن يتفرقوا ويختلفوا ويقتتلوا، فيلام على ذلك، حيث وصاه بالإصلاح، وعدم الإفساد.

وقد كان أسلوب هارون عليه السلام في الاعتذار أسلوباً حكيماً، ويتمثل ذلك في هدوءه، وأدبه، واختياره الألفاظ الرقيقة، وذلك في مقدمة خطابه مع أخيه، حيث بدأ كلامه معه قائلاً: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾، وهذا أسلوب استعطاف وتحبيب[4]، قال ابن كثير –رحمه الله–: "وإنما قال: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ ليكون أرأف وأنجع عنده، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه"[5].

ثم بين عذره كما تقدم، وختمه بطلب قبول عذره، والعفو والصفح عنه: وقد كان لذلك الأسلوب أثر عظيم في أخيه موسى عليهما السلام وقبول عذره.

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٩/٩، وفتح القدير ٢٦١/٢.

(٣) سورة طه، من الآية ٩٤.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٨/٩، وزاد المسير ٢٦٥/٣، وتفسير القرآن العظيم ٢٠٩/٣، والبرهان في علوم القرآن ٢٥٠/٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/٣.

المبحث الثاني:

أثر اعتذار هارون عليه السلام في أخيه موسى – عليه السلام

لقد كان لأسلوب هارون عليه السلام في الاعتذار إلى أخيه عليه السلام الأثر العظيم، والثمار الحميدة، وهي أنه قال له ما قال في الاعتذار؛ فرقَّ له، وزال غضبه، وقبل عذره، ورفق بأخيه حيث بين له أنه لم يفرط في واجبه؛ فلم يعرضه لشماتة الأعداء؛ وتوقف عن لومه وعتابه.

ثم إن موسى عليه السلام توجه إلى الله تعالى بالاستغفار لنفسه ولأخيه قائلاً: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]؛ فاستغفر لنفسه مما بدر منه نحو أخيه، وأخذه برأسه ولحيته غضباً عليه، ومن إلقائه الألواح حال الغضب[2]، واستغفر لأخيه إن كان حصل منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل[3].

قال ابن عاشور – رحمه الله –[4]: "طَلَب المغفرة لنفسه تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه، عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك، وذكر وصف الأخوة هناك زيادة في الاستعطاف عسى الله أن يكرم رسوله بالمغفرة لأخيه، كقول نوح:

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ١٥١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ص ٧٤٦.

(٣) ينظر: معالم التنزيل ٢/٢٠٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢/٢٩٢.

(٤) هو: محمد الطاهر بن عاشور، كان رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، له مصنفات مطبوعة من أشهرها: التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والوقف وآثاره في الإسلام، وأصول الإنشاء والخطابة، وموجز البلاغة، توفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٦/١٧٤.

﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[1]»[2].

كما سأل موسى عليه السلام ربَّه أن يدخله وأخاه في رحمته تعالى بقوله: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3]. ثم عاد موسى عليه السلام إلى ترتيب الأمور، وإعادتها إلى نصابها، ومن ذلك أخذ الألواح، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾[4]؛ فكانت المسارعة إلى هذا الصنيع من موسى عليه السلام من ثمرة سرعة انطفاء غضبه بالأسلوب القويم الذي اتخذه معه أخوه هارون عليه السلام[5].

❁ ❁ ❁

(١) سورة هود، من الآية ٤٥.

(٢) التحرير والتنوير ٩/١١٨.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ١٥١.

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٥٤.

(٥) ينظر: الانفعالات ص ١٢.

الخاتمة

وأبين فيها النتائج التي توصلت إليها، وهي:

١- لابد للقوم من أمير يقوم على شؤونهم، ولهذا استخلف موسى أخاه هارون-عليهما السلام- على بني إسرائيل.

وكذلك استخلف النبي ﷺ بعض أصحابه على المدينة؛ ومن ذلك استخلافه أبا لبابةﷺ[١] على المدينة في خروجه إلى بدر[٢]، واستخلافه علياً ﷺ على المدينة عند خروجه إلى تبوك[٣].

٢- مشروعية الوصية للخلفاء بما هو خير[٤]، كما أوصى موسىعليه السلام أخاه هارون عليه السلام بتلك الوصية الجامعة.

٣- قد تكون الوصية بأمر معلوم، وإلى من هو حريص على ذلك الأمر الموصى به؛ فإن هارون عليه السلام يعلم ما يجب عليه في تلك الخلافة، وهو حريص على القيام به، ومع ذلك أوصاه أخوه بتلك الوصية.

وقال تعالى موصيا نبيه محمداً ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[٥] مع كونه ﷺ عالماً بما يجب عليه نحو ربه تعالى، وحريصا على ذلك.

فلا ينبغي التذمر من الوصية، كما لم يتذمر هارون عليه السلام من تلك الوصية،

---

(١) هو: صحابي جليل مختلف في اسمه؛ فقيل: بشير، وقيل: مروان، وقيل: رفاعة، قيل: رده النبيﷺ بعد الخروج إلى بدر، وضرب له بسهم، وأجره مع أهل بدر لتكليفه بإمارة المدينة حال غياب النبي ﷺ عنها، كان أحد النقباء ليلة العقبة، وكانت راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح معه، روى عن النبي ﷺ، يقال: مات في خلافة عليﷺ ويقال بعد الخمسين من الهجرة. ينظر: الإصابة ٤/١٦٧.

(٢) ينظر: الإصابة ٤/١٦٧.

(٣) يراجع: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، رقم (٤٤١٦).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير ٢/٧٩.

(٥) سورة الأحزاب، من الآية ١.

واتسع صدره لها.

فالنصيحة إنّما تثقل على نفوس الأشـــرار، والمتكبرين، وأما الأخيار والمتواضعون فإن صدورهم تتسع لها.

٤- "إن سياسة الأمة تدور حول محور الإصلاح، وهو جعل الشيء صالحا، فجميع تصرفات الأمة وأحوالها يجب أن تكون صالحة، وذلك بأن تكون الأعمال عائدة بالخير والصلاح لفاعلها ولغيره"[١].

٥- الإنكار على أهل المعاصي، واستعمال الأسلوب الأمثل في ذلك، ومن ذلك أسلوب التلطف والتودد للمدعو، كما بدأ هارون عليه السلام نصحهم بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ ولم يقل: يا مشركون، أو يا فجرة، أو نحوه، وبقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾[٢]؛ فلم يُسند الفعل إليهم، وأسلوب الترغيب كما قال عليه السلام: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾[٣].

٦- رِقّة هارون عليه السلام ويعرف ذلك من أسلوبه في دعوة القوم كما تقدم.

٧- عناد بني إسرائيل وإصرارهم على العصيان، وذلك أنه لما وعظهم هارون عليه السلام قالوا: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[٤].

٨- كِبْرُ بني إسرائيل، واحتقارهم أنبياء الله، وعدم انصياعهم للحق، ومن ذلك عدم استجابتهم لموعظة هارون عليه السلام، ومقاربتهم قتله؛ -هذا مع الأنبياء- فلأن يكون مع غيرهم من المؤمنين من باب أولى.

٩- الجهل من صفات بني إسرائيل إلا القليل منهم، وتعلم هذا من عبادهم العجل مع تحذير موسى عليه السلام إياهم من الشرك، حينما عرضوا له أن يجعل لهم إلها في قوله سبحانه: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ

(١) التحرير والتنوير ٩/٨٧-٨٨.

(٢) سورة طه، من الآية ٩٠.

(٣) سورة طه، من الآية ٩٠.

(٤) سورة طه، الآية ٩١.

يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

١٠- معصية الرسول يؤدي على فتنة العاص في دينه ودنياه[2]

١١- تسلية الدعاة على الله في عدم قبول الناس دعوتهم، واستهانتهم بهم؛ فإن مثل هذا قد يكون مع أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وهم صفوة الخلق، فليصبروا وليرابطوا في الدعوة إلى الله تعالى، إذ الهداية بيد الله -ﷻ- وما عليهم إلى البلاغ.

١٢- إن تغيير المنكر يكون بحسب الاستطاعة والسلطة؛ فلما كان هارون عليه السلام خليفة على بني إسرائيل ولم يغير المنكر بيده عاتبه موسى عليه السلام أشد العتاب، وقد قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرا؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3].

١٣- وجوب مفارقة أهل المعاصي وهجرهم، إذا كانوا مصرين على معصيتهم غير منقلبين عنها؛ فقد عاتب موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على إقامته مع القوم مع إصرارهم على الشرك، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[5]

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٣٨-١٣٩.

(٢) أيسر التفاسير ٣/٧٢.

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم ٤٩.

(٤) سورة الأنعام الآية ٦٨.

(٥) سورة النساء الآية ١٤٠.

١٤- قد يخطئ المجتهد في اجتهاده وقد يصيب[١]؛ فقد اجتهد هارون عليه السلام في تصرفه مع قومه فأخطأ، ولهذا عاتبه أخوه موسى عليه السلام ثم استغفر له.

١٥- أمانة الرسل في إبلاغ الرسالة؛ فقد رجع موسى عليه السلام إلى قومه بالألواح التي آتاه الله إياها ليُبلغهم بما فيها من الهدى.

١٦- إن الغضب درجات؛ فقد يكون خفيفاً وقد يشتد[٢]؛ فينتج عنه أقوال وأفعال لا يرتضيها المرء، ويندم بعد حصولها[٣]، كما حصل من موسى عليه السلام من تصرفات حال اشتداد غضبه، ولهذا أوصى النبي ﷺ ذلك الرجل بقوله: «لا تغضب»[٤]، أي: لا تعمل بعد الغضب شيئا مما نُهيت عنه؛ لا أنه نهاه عن شيء جبل عليه، ولا حيلة له في دفعه[٥]، وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة[٦]؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٧].

١٧- ليس الخبر كالمعاينة؛ فإن معاينة المنكر أشد من مجرد الإخبار به، ولهذا حصل لموسى عليه السلام من الآثار النفسية ما تقدم ذكره، حينما رأى بعينه شرك قومه، واشتد غضبه لله تعالى.

١٨- الحدة وشدة الغضب قد تكون في الأخيار؛ كما في موسى عليه السلام كما تقدم، وكذلك هي في عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٨]، وفي زينب بنت جحش[٩] أم

---

(١) أيسر التفاسير ٣/٧٢.

(٢) ينظر الانفعالات أ.د.عبد العزيز النغيمشي ص١٦-١٧.

(٣) ينظر: فتح الباري ١٠/٥٣٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٦).

(٥) ينظر: فتح الباري، ١٠/٥٣٧.

(٦) الذي يَصرَع الناس كثيرا بقوته، وفاء للمبالغة في الصفة. ينظر: فتح الباري ١٠/٥٣٥.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٤).

(٨) ينظر: صفة الصفوة ١/٢٧٥.

(٩) هي: زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، ابنة عمة النبي ﷺ أُمَيْمَة، تزوجها في السنة الخامسة من الهجرة بتزويج الله له إياها بالقرآن، كانت صالحة صوامة، صَنّاعة تتصدق =

المؤمنين -رضي الله عنهما-[١]، وغيرهم، ولكن الأخيار سرعان ما يفيئون من غضبهم.

١٩- إن من ألقى كتب علم من يده إلى الأرض وهو غضبان لا يُلام[٢].

٢٠- وجوب إعفاء اللحية للرجال، جاء في كتاب (أضواء البيان[٣]) عند الكلام على قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾[٤] ما نصه: "هذه الآية الكريمة بضميمة آية "الأنعام" إليها تدل على لزوم إعفاء اللحية؛ فهي دليل قرآني على إعفاء اللحية وعدم حلقها، وآية "الأنعام" المذكورة هي قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[٥] الآية، ثم إنه تعالى قال بعد أن عَدّ الأنبياء الكرام المذكورين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٦]؛ فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أُمِر نبينا ﷺ بالاقتداء بهم، وأمْرُه ﷺ بذلك أمْرٌ لنا؛ لأن أمر القدوة أمر لأتباعه".

٢١- اللوم على الراعي أشد منه على الرعية عند حصول الخلل، ويؤخذ هذا من موقف موسى عليه السلام من قومه عند رجوعه إليهم حيث اكتفى بالتوبيخ لهم، بينما كان أسلوبه مع أخيه أشد لوماً كما تقدم.

ولقوله ﷺ: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته»[٧].

= على المساكين، روت عن النبي ﷺ أحاديث، وهي أول نسائه لحوقاً به، وذلك سنة ٢٠هـ. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٣٠٧-٣٠٨.

(١) يراجع صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٤٢).

(٢) ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل ص ١٣١.

(٣) ٤/٥٠٦.

(٤) سورة طه، من الآية ٩٤.

(٥) سورة الأنعام، من الآية ٨٤.

(٦) سورة الأنعام، من الآية ٩٠.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ =

٢٢- الاستفسار والتثبت من الأمر قبل المعاقبة؛ فربما كان عذر؛ فإن موسى عليه السلام سأل أخاه هارون عليه السلام عن سبب تخلفه عنه، ولم يعاجله بالعقاب قبل التثبت.

وقد أمر الله تعالى بذلك في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[2].

٢٣- وجوب طاعة الخليفة؛ فقد عاتب موسى عليه السلام أخاه عليه السلام بقوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾[3]، فاعتذر إليه هارون عليه السلام كما تقدم، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[4].

٢٤- الاعتذار وقبول العذر من شيم أهل المروءة والكمل من الناس[5].

٢٥- إن رابطة الأمومة أرق الروابط بين الإخوة[6]، ولهذا خاطب هارون عليه السلام أخاه عليه السلام في ذلك الموقف الشديد بقوله: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾، وقريب من هذا ما يستعطف الناس بعضهم بعضاً عند الحاجة بقولهم: رحم الله أمك يا فلان

= ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء، من الآية ٥٩]، رقم (٧١٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم (١٨٢٩).

(١) سورة النساء، من الآية ٩٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٥٩.

(٣) سورة طه، من الآية ٩٣.

(٤) سورة النساء، من الآية ٥٩.

(٥) أيسر التفاسير ٢/٨٥ بتصرف.

(٦) ينظر: أضواء البيان ٤/٥٠٨.

افعل لي كذا، أو اصرف عني كذا.

٢٦- الحرص على الاجتماع وعدم الفرقة، ويُفهم هذا من قول هارون عليه السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[1]، وقد قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[2].

٢٧- الاعتذار النافع ما كان بأسلوب رقيق، واستعطاف قبل ذكر العذر.

٢٨- حفظ الكرامة من الأمور التي يحرص عليها الكاملون من البشر، ويفهم هذا من قول هارون عليه السلام ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

٢٩- للاعتذار الحكيم نفع للمعتذِر والمعتذَر إليه؛ فقد عفا موسى عليه السلام ودعا له ثم اشتغل بإصلاح الأمور.

٣٠- الاستغفار من الخطأ حتى وإن كان العبد فيه معذوراً من الأدب مع الله تعالى؛ فقد استغفر موسى عليه السلام ربه تعالى بعد ما حصل منه ما حصل حال غضبه وإغلاقه.

٣١- ينبغي اقتران طلب الرحمة بطلب المغفرة لافتقار العبد إلى رحمة الله تعالى، كما كان في دعاء موسى عليه السلام كما تقدم، وقد قال ﷺ: «لن يُنجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله!؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته»[4].

---

(١) سورة طه، من الآية ٩٤.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ١٥٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم (٦٤٦٣)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، رقم (٢٨١٦).

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ومعه: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، للحافظ أبي عمر ابن عبد البر القرطبي المالكي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، بيروت، عالم الكتب.

٥. الأعلام "قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

٦. الإكليل في استنباط التنزيل للحافظ العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٧. الانفعالات "التشخيص والعلاج من المنظور الإسلامي" أ.د/ عبد العزيز بن محمد النغيمشي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٨. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير؛ لأبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٩. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٠. تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١١. التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، مصورة عن طبعة الدار التونسية، تونس.

١٢. التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق الأستاذ: عبده مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٣. تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٤. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ)،المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٥. تفسير المراغي، تأليف الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية

دار العلوم سابقاً، دار إحياء التراث العربي.

١٦. تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٧. تهذيب اللغة للعلامة أبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٨. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ١٤٠٠هـ.

١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لإمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت،دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د.أحمد بن محمد الخراط، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، بيروت، دار الفكر.

٢٤. زاد المسير في علم التفسير، للعلامة أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي التيمي القرشي البغدادي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٢٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

٢٧. سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، المتوفى سنة (٢٧٥هـ)، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٢٨. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الباز، مكة المكرمة.

٣٠. شرح النووي على صحيح الإمام مسلم، للإمام يحيى بن شرف النووي، المطبعة المصرية.

٣١. صحيح البخاري (مع فتح الباري) للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى (٢٥٦هـ).

٣٢. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة(٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣. صفة الصفوة للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٣٤. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، "الفتح الكبير" للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

٣٥. طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٣٧. فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٨. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩. قصص الأنبياء للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي، بيروت، مؤسسة أبي الطيب للثقافة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

٤٠. الكامل في التاريخ، للإمام العلامة أبي الحسن علي بن علي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

٤١. لباب التأويل في معاني التنـــزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.

٤٢. لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر.

٤٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٤٤. المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٥. المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم، وإبراهيم الزيبق، ومحمد رضوان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤٦. المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، وبهامشه منتخب كنـــز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.

٤٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، بيروت، دار الكتب العلمية.

٤٨. معالم التنزيل للإمام أبي محمد بن الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العلا، ومروان سوار، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤٩. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٥٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المصري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

٥١. المغني لابن قدامة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

٥٣. النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، صححه وراجعه، علي بن محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤. نظرات في أحسن القصص، د. محمد السيد الوكيل، بيروت، الدار الشامية، دمشق، ودار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، دار الفكر.

فهرس الموضوعات

المقدّمة ١٥٣
التمهيـــد: تعريف العتاب ١٥٦
نبذة عن موسى –عليه السلام–: ١٥٩
نبذة عن هارون –عليه السلام ١٦٧
الفصل الأول: سبب معاتبة موسى أخاه هارون عليهما السلام؛ ١٦٩
المبحث الأول: تولي هارون عليه السلام أمر بني إسرائيل ١٦٩
المبحث الثاني: بقاء هارون عليه السلام مع قومه بعد شركهم، ١٧٢
الفصل الثاني: أسلوب موسى عليه السلام في معاتبة أخيه –عليه السلام– ١٧٧
المبحث الأول: تصرفاته عند المعاتبة، وبيان عذره في ذلك ١٧٧
المطلب الأول: تصرفاته عند المعاتبة؛ ١٧٧
المطلب الثاني: بيان عذر موسى عليه السلام في ذلك ١٨١
المبحث الثاني: مقالة موسى عليه السلام في معاتبة أخيه –عليه السلام– ١٨٤
الفصل الثالث: موقف هارون عليه السلام في تلك المعاتبة، ١٨٧
المبحث الأول: اعتذار هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام: ١٨٧
المبحث الثاني: أثر اعتذار هارون عليه السلام في أخيه موسى –عليه السلام– ١٨٩
الخـــاتمة: ١٩١
فهرس المصادر والمراجع ١٩٨
فهرس الموضوعات ٢٠٢